علاقة جوته بشلر

١٧٩٤ — ١٨٠٥

بعد ما تقابل الشاعران الكبيران لاول مرة سنة ١٧٧٩ في مدينة كارل شوله Karlsbad عادا فتقابلا ثانية سنة ١٧٨٨ بمدينة رودلشتدت Rudolstadt ولكن بعد ما بينهما فان جوته كان قد نأى عن طريقته المعروفة بطريقة العواصف والاندفاع (Sturm & Drang) عقب سياحته في ايطاليا بينما كان شلر لا يزال عالقاً بها. لهذا لم يحل جوته لمؤلفات شلر في شبابه التي من هذا القبيل حتى ان كانت سنة ١٧٩٤ اذ تقابل الشاعران وتقرب احدهما الى الآخر ومرعان ما تمكنت عرى الصداقة بينهما تمكناً قل ان نجد له مثيلاً في تاريخ الادب الالماني . وقد لبثا يتراسلان بكتب بينهما لا ينقطع ورودها ثم انهما كانا يتقابلان كل يوم تقريباً لما انتقل شلر الى ڤيمار سنة ١٧٩٩ وكانا يتبادلان الآراء بينهما ويشتركان في التفكير والتدبير لبعض آثارهما الشعرية كما كانا يتحيزان في نقدها واحكامها وكانا يتنافسان منافسة كلها النبل والشرف. وقد كانت طرق تفكيرهما متباينة فقد كان جوته من انصار مذهب الحقيقة وكان يبدأ بالخاص من الاشياء وينتهي الى العام منها بينما كنت ترى شلر من عشاق المثل الاعلى وكان يذهب في كتاباته الى اقصى مدى افكاره وكان ينزل من العام الى الخاص . وكانت طبيعة روحيهما الليتة تتكامل في النهاية على احسن ما يكون. وقد قال جوته معبراً عن ذلك تعبيراً خاصاً : انهما اتحدا اتحاد التكملة (اعني ان احدهما يكمل الآخر اي يتممه) . وقد كان من بواكر تلك الصداقة ان اصدر شلر مجلة (die Horen) (أي آلهات فصول السنة) سنة ١٧٩٤ ودعا صديقه جوته للاشتراك معه في تحريرها فاخذ يتشرفيها ما كان قد انشدمن قبل من (المراثي الرومانية) . ثم انضمت مجلة اخرى اليها واتحدت فيها وكان الغرض من اتحادهما ان يهذبا من ذوق الجمهور وان يرفعا من شأنه ولو ان النتيجة لم تحقق ذلك الغرض الذي قصدوا اليه . فقد صادفت الاشياء المبتذلة والساقطة استحساناً وقبولاً فاتفق الشاعران على ان يؤلفا محكمة لعقاب كل من اعتدى على الآداب (آداب اللغة) في عصرهما وكان جوته هو اول من فكر في ذلك وكان اول من نشر في المجلة ما نشر. وجد الشاعران في عملها ونشرا في ذلك القصائد العديدة والقطع الكثيرة وفي نقدها لكل تافه او قليل القيمة في الادب

وقد اثار عملهما هذا عاصفة هوجاء وعظم امر ذلك على خصومهما وكثرت الردود ولم تهدأ تلك العاصفة الا بعد زمن طويل. وبعدئذ اخذا في نشر أغانٍ جميلة وقصص شعرية بديعة نذكر منها (صبي الساحر) و(الحافر على الكنز) و (الزوجة من كورنت) و(الله) و(القاهرة) وكلها لجوته

وتبان مذهب الاثنين وعاد جوته لشعر المآسي وقصص الابطال والملاحم النظمية . فتم في سنة ١٧٩٦ (ايام تعليم فلهلم مايستر) وهو عنوان رواية كان الشاعر قد بدأها قبل سياحته

في ايطاليا . على ان اشتغاله بكتابة القصص الروائية سنين متوالية لحق الضرر بالوحدة الفنية لمجموعها . ونراه يأتي على وصف النبيل ورقيق الحال كما يصف اصحاب كل الحرف المتباينة وصفاً يطابق الحقيقة والواقع . وتلتقط من قصصه ما كان عليه من معرفة كبيرة بشؤون الحياة وتجاربها وتعمقه في فهم الفنون وتقعيرها كما تلمح فيها كل قوانين فن المآسي التي راعاها شكسبير في (هاملت) . وكذلك عالج بعض اسس التربية والمسائل الدينية ثم ان الجمعيات والفرق السرية التي كانت منتشرة في المانيا في ذلك الحين لم تسلم من تهكمه وسخريته وكذا تراه يعرض امامنا صورة واضحة كل الوضوح زاهية الالوان للحياة فترى في القصص الروائية سلسلة من صور الاخلاق والشخصيات التي قد اجاد رسمها وبيانها ايما اجادة

وفي سنة ١٧٩٧ اظهر مؤلفاً من خيرة ما كتب في دائرة الملاحم وقصص الابطال الخماسيين ونعني بذلك : Das lichtüige Gera gegen die Salzbrugischen Emigranten ومعناها « احسان مدينة جيرا للهاجري سلزبورج »

وهي قصة حدثت بين ابن اسرة ثرية سرية واحدى المهاجرات الاتقياء . ومن تلك القصة اخذ مادته للحمته الشعرية (هرمان ودوروثيا Hermann & Dorothea) وقد وصف فيها الشاعر حياة اسرة من صميم الالمان . ولكي يجعل لقصيدته هذه مرجعاً هاماً جعل حوادثها الماضية كأنها حدثت في عصر الثورة الفرنسية وارجع اصول المهاجرين المطرودين من متبعي مذهب لوثر من سكان سالزبورج كأنهم من سكان الحدود الفرنسية . ويرفرف على كل القصة الروح الوطنية فيريك الطبيعة الالمانية والفضائل الالمانية والعادات الالمانية ويصورها لك تصويراً حسناً . ويسود القصيدة من اولها الى آخرها الوضوح التام وحب الحرية من كل المطاردين والمضطهدين ثم اننا نرى فيها ما نرى في الحياة الصحيحة من وصف للمعيشة الالمانية وما يحدث فيها بين الابناء ووالديهم وكما تراها في المدن وبين اوساط الناس

ولما اتم تلك القصيدة الحماسية المذكورة ساح الشاعر سياحته الثالثة في السنة عينها في سويسرا وكتب هناك قصيدة اوبرفروزيني « Euphrosyne » وقد كتبها رثاء وذكرى لاحدى ممثلات فيمار المعدودات وكانت قد توفيت في سن العشرين واسمها كريستيان نومان Christiane Neumann وفي اثناء تلك السياحة بدأ يفكر في انشاد ملحمة جديدة يسميها « فيلهلم تل » ولكنه سرعان ما عدل عن فكرته وبينما كان شلر يخرج للناس كل يوم شيئاً جديداً من مؤلفاته في المآسي العظيمة في اواخر القرن الثامن عشر ومستهل القرن التالي كان جوته قليل الثمر نادر النشر والاذاعة عن مبتكرات فهمه وعصير ذهنه ولكنه كان قد اتم الجزء الاول من (فوست) وترجم من مؤلفات فولتير تمثيلية (محمد) وتنكرد (Tancred) لمسرح فيمار واتم الجزء الاول من (البنت الطبيعية Diee natürlich Tochter)

علي مظهر